المصـــــدر : الحياة
التـــاريخ : 16-04-2008 العـــدد : 16448
الصفحـات : 14 المسلسل : 113

الأزمة اللبنانية تعيش طويلاً

المصـــــدر : الحياة
التـــاريخ : 16-04-2008 العـــدد : 16448
الصفحـات : 14 المسلسل : 113

فوزي زيدان *

تعتبر المرحلة الراهنة، مرحلة تلمس لما يمكن القيام به لحل الأزمة اللبنانية، وسط انقسام حاد كبير أفرزته القمة العربية.

وبأتي التحرك العربي في ظل تزايد المخاوف من ان تعطيل المبادرة الغربية يفتح الوضع اللبناني على مخاطر صعبة، من التآكل الداخلي والانفجارات المتنقلة وتفاقم الأزمة الاقتصادية، ما يؤثر سلباً في الأوضاع في المنطقة العربية. وتصطدم الرياض والقاهرة في تحركهما لحل الأزمة الرئاسية اللبنانية وانتخاب قائد الجيش اللبناني العماد ميشال سليمان رئيساً توافقياً للجمهورية، برفض المعارضة اللبنانية بضغط من دمشق، السير في هذا الحل، قبل الاتفاق المسبق مع الغالبية على «السلة المتكاملة» من القضايا ومنها تشكيل الحكومة المقبلة وإقرار قانون انتخاب جديد، ما يتعارض مع النظام البرلماني الذي يعتمده لبنان.

وقد أثرت تداعيات الأزمة اللبنانية سلباً في العلاقات العربية - العربية خصوصاً بين مصر والمملكة العربية السعودية من جهة وبين سورية من جهة أخرى، ما دفع بالعاهل السعودي الملك عبدالله والرئيس المصري حسني مبارك وغيرهما من القادة العرب الى التغيب عن قمة دمشق، ما أدى الى عدم اتخاذها قرارات مهمة وبالتالي الى فشلها وتكريس الانقسام العربي، ونأمل بأن يتابع العرب تحركهم بزخم اكبر لإيجاد للأزمة السياسية المستعصية، من أجل اعادة اللحمة بين الأطياف اللبنانية والوفاق بين الدول العربية، خصوصاً ان المنطقة تمر في مرحلة بالغة الخطورة مع الاستعدادات العسكرية على كل الجبهات، في شكل يؤدي أي احتكاك على أي جبهة منها الى إشعال المنطقة، ولن تنجو عندها أي دولة عربية من لهيب النار المشتعلة، وسيكون لبنان أكثرها تضرراً كونه ساحة مفتوحة للصراعات الإقليمية والدولية.

وتكرّس الانقسام العربي اكثر برفض دمشق دعوة الحكومة اللبنانية الى عقد اجتماع لوزراء الخارجية العرب لبحث موضوع العلاقات اللبنانية - السورية، إذ تعتبر الأزمة اللبنانية أزمة داخلية يحتاج حلها الى التوافق اللبناني - اللبناني، بينما أيدت مصر وبعض الدول العربية طلب الحكومة اللبنانية، ما يؤدي في حال عقد الاجتماع الى ترسيخ الانقسام العربي واستمرار دوران الأزمة اللبنانية في حلقة مفرغة.

وازداد الشرخ الوطني اللبناني مع رفض الغالبية دعوة رئيس مجلس النواب نبيه بري الى استئناف الحوار، للبحث في الشكل العام للحكومة المقبلة وقانون الانتخابات النيابية، وهما موضوعان كبيران وشائكان يحتاجان الى وقت ودراسة معمقة، كما ان الرئيس بري لم يعد يحظى بثقة الغالبية، التي ترفض ترؤسه جلسات الحوار بصفته من صقور المعارضة وتعتبر دعوته هي من اجل تمرير الوقت وابتداع شروط جديدة وإضافية لتعطيل الانتخابات الرئاسية وربما النيابية ايضاً. وتطالب الغالبية بأن يكون الحوار حول كل القضايا الوطنية في القصر الجمهوري بدعوة من رئيس الجمهورية بصفته رئيساً توافقياً وحكماً بين الأطراف المتنازعة ومؤتمناً على مصالح الوطن، في صورة يؤدي هذا الحوار الى ايجاد الحلول لكل القضايا المختلف عليها.

وبينما يرى الرئيس بري أن ليس لدمشق أي شرط على الاطلاق على التفاهم اللبناني - اللبناني وأنها داعمة الحوار، يرى رئيس مجلس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة ان لب الأزمة اللبنانية هو في الخلاف اللبناني - السوري نتيجة تشدد دمشق تجاه حل الأزمة اللبنانية وعرقلتها مسيرة الاستقلال ومحاولتها الإمساك مجدداً بالقرار الوطني اللبناني.

وتتساءل ما اذا كان تسريع إنشاء المحكمة الدولية لمحاكمة المتورطين في جريمة اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري والجرائم المرتبطة بها، ووقف مسلسل الاغتيالات في لبنان، يساعد في ترتيب الأوضاع اللبنانية خصوصاً ان الوضع الداخلي لا يمكن ان يستمر جامداً في وضعية الانتظار، مع سأم العماد ميشال سليمان من التجاذب حول اسمه كمرشح لرئاسة الجمهورية، ام يؤدي الى مزيد من التشنج السياسي والتدهور الأمني؟

ومن التساؤلات ايضاً ما اذا كان فريق «الشيعية السياسية» يختبئ وراء الفريق المسيحي المعارض من اجل تحقيق أهدافه بتغيير «اتفاق الطائف» ما يعني إطالة الأزمة السياسية بانتظار تحقيق هذه الأهداف.

وتشير التطورات الى ان حل الأزمة اللبنانية ليس وارداً في المدى المنظور، لارتباطها بقضايا المنطقة، فإيران التي تمسك بأوراق عدة تضغط على الولايات المتحدة من أجل مشاركتها النفوذ في المنطقة ومنعها من عرقلة برنامجها النووي، وسورية تضغط ايضاً على الأميركيين من خلال الأوراق التي بيدها، وهي كثيرة، من أجل تامين مصالحها الخاصة والحفاظ على نظامها. وكلتا الدولتين تنتظران انتهاء ولاية الرئيس الأميركي جورج بوش، وتراهنان على اعادة الرئيس المقبل النظر في السياسة الخارجية الأميركية ما يدفع بالإدارة الاميركية الجديدة الى تخفيف الضغوط عنهما وفتح باب المفاوضات معهما.

وفي ظل الانقسام الوطني الحاد وما يرافقه من تشنجات سياسية وسجالات إعلامية بين الفريقين السياسيين المتصارعين والتي بلغت الذروة في الاتهامات المتبادلة بين الرئيسين نبيه بري وفؤاد السنيورة، فقد اللبنانيون الأمل بالخلاص القريب وتعمق اليأس في نفوسهم، وأصبحوا غير مكترثين بتحركات وزيارات المسؤولين اللبنانيين الى الدول العربية والأجنبية، وزيارة بعض المسؤولين العرب والأجانب الى لبنان، اذ يضعونها في خانة عدم إبقاء الساحة السياسية اللبنانية خالية من أي مبادرة، حتى لا يؤدي الفراغ السياسي الى فتح الأبواب امام التوترات السياسية والأمنية.

* كاتب لبناني.

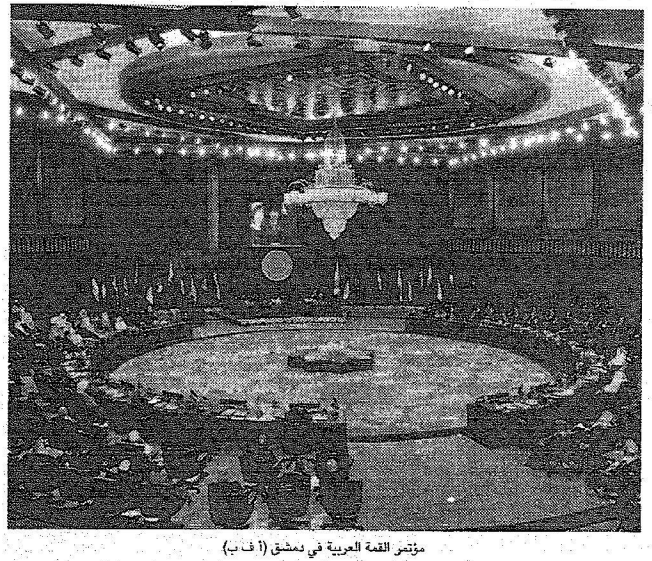

مؤتمر القمة العربية في دمشق (أ ف ب)